

وجود مصور ماهر هنا يحسن صور على المناحي المطلوبة . والاسلام لا يمنع من التصوير الا المجسم والمنع تحت شروط ايضا .

ثم ان قلة رواج بضاعة العلم والادب من اكبر الدواعي في تخلف صحافتنا العلمية والسياسية كما قال صديقنا صاحب المقالة فمجلة المنتبس على شهرتها لا تطبع سوى الف نسخة في الشهر وجريدة المنتبس على سعة انتشارها لا تباع اكثر من الف نسخة في اليوم فمن لنا يوم تطبع فيه صحفنا عشرة آلاف فقط لتفقد الصحافة الغربية حذو التذة بالقذة ومكانة الجرائد بمكانة قرائها ولا يحيط العامل الاعظم في رقيها

عمران الكرك

لم نكد الحال تستقر في حوران على ما يجب بعد ان ادبت الحملة العسكرية اشقياء الدروز في جبل حوران حتى ارادت الحكومة ان تحصى نفوس سكان لواء الكرك كما احصت سكان لواء حوران فنشر السكان وانتفضوا على الحكومة وصادف ان قطعت مراتب بدوي في صخر والخرشان وغيرهم ممن كانوا يتقاضون انعاماً من السلطنة منذ القديم لحراسة الطرق فتكونت هذه الاسباب وقام البدو الذين حرموا من رواتبهم وهي اربعة آلاف ليرة في السنة وسطوا على بضع محطات من السكة الحديدية الحجازية وافعة على طول زهاء مائتي كيلومتر في اراضي اللواء وخربوا بعض القضبان الحديدية ونهبوا احد القطارات التي كانت قادمة من المدينة وسلبوا ما كان مع ركبها من مال ومتاع مما لا يقل شيء عن عشرين الف ليرة وقتلوا وجرحوا بعض موظفي الخط الحديدي وكان ذلك على بضع ساعات من مركز لواء الكرك وقام الكركيون بادبهم وحاسرهم واطالوا يد الاعتداء على التجار والموظفين والحامية ولم يلجأ الموظفون الى قلعة الكرك الحصينة وبقوا فيها عشرة ايام ريثما وافاهم المدد لقتضت الثورة عليهم ولا يعلم الى الآن عدد من هلك في الفتنة من التجار والضباط والموظفين والجنود ممن كانوا يقولون في الارياض لاتمام اعمالهم وقد حرق نيران الفتنة الاماكن الاميرية كلها ونهبت نقود الخزينة ونقود ادارة حصر الدخان ونهبت دور الموظفين واحرق قسم منها وخرب قسم عظيم من المدينة باطلاق القلعة المدافع عليها وقطع العصاة الاسلاك البرقية وهاموا على وجوههم في البراري والجنود بتأثرهم الآن في السهل والوعر .

وقد نوى اهالي الطفيلة واهالي معان القيام بمثل هذه الفظائع في الوقت الذي قام فيه الكركيون بشورتهم ولم يؤثر عنهم شيء مضر

واذ كان النزاع الآن قائماً في ذلك الصقع بين الحكومة والسكان وبعبارة أخرى بين المدنية والهمجية رأينا ان نلمّ بعمرانه وتاريخه، وجغرافيته واقتصاده واستعداده للارتقاء فنقول نقلاً عن مصادر عربية وافرنجية وتركية كثيرة: يمتد هذا اللواء من وراء قصر الزرقاء في الحد الجنوبي من لواء حوران الى مدائن صالح جنوباً وهي مسافة يتقطعها راكب المطايا في العادة في نحو خمسة عشر يوماً اما عرضه فمن الغرب نهر الأردن (الشريعة) وبحيرة لوط (البحيرة المنقطة او البحر الميت) ووادي العاربة والوجه، والعقبة الفاصلة بينه وبين فلسطين الى بادية الشام شرقاً فالجوف فيجد وهذه المسافة لا تقل عن خمسة ايام وهي تبلغ اكثر اذا تجاوزنا البادية الى وادي السرحان في الشرق.

وارضه سهلية جبلية وجباله لا ترتفع كثيراً عن سطح البحر وتدعى باسماء البلاد التي يقربها الآن واشهر انهار اللواء وادي الزرقاء ينبع من رأس عمان قالـ ياقوت: الزرقاء موضع بالشام بناحية عمان وهو نهر عظيم في شعار ودحال كثيرة وهي ارض شبيب التبعية الحيري وفيه سبع كثيرة مذكورة بالضراة وهو نهر يصب في الغور. ووادي الصلت وهو ينبع من قصبة الصلت ووادي السير ينبعث من قرية وادي السير ووادي حسان ينبض من محل اسمه حسان ونهر زرقامعين ووادي الوالا ينبع بالقرب من ام الرصاص وينضم اليه وادي الموجب وهذا الوادي يتألف من اللجون الواقع في منتصف الطريق بين القطرانة والكرك وجميع هذه الاودية او الانهار تصب في نهر الأردن او الشريعة ومن انهار هذه البلاد وادي الكرك ينبع في قصبة الكرك ويصب في بحيرة لوط ووادي الحسا تجتمع اليه مياه الشراة ومياه وادي موسى وبتابع شق فيصب في بحيرة لوط. وهذه الانهار تفيض كعادة معظم الانهار شتاء بما ينهل اليها من السيول وتجف قليلا في الصيف. ومن الانهار مالا يجري الا في الشتاء مثل نهر التمد ولا ينتفع بهذه المياه في السقيا حتي ان نهر الزرقاء الذي يعد من الانهار المتوسطة لا يقي اكثر الاراضي التي تحفاه بل هي تشرب بماء المطر وكذلك حال اراضي البلاد كلها ما خلا بعض الحدائق القليلة في وادي موسى والصلت

ووادي الموجب ووادي الحسا من اعرق اودية سورية قد ينزل الراكب من ذروتها الى قرارها في ساعة ونصف ويصعد اليها في اكثر من ذلك

وفي هذا اللواء مناجم كثيرة فبالقرب من زرقا معين على ساعتين من مآدبا جبال مائنة ففيها جبل اصفر وآخر احمر وبالقرب من بحيرة لوط وحمة عفرة من اعمال الطفيلة معادن الكبريت والقصدير والبتروول والنحاس . وزرقا معين هذه من الحمامات البخارية اشبه بحمام ابي رباح بالقرب من تدمر . وهي ثلاث حمامات يستحم المستحمون ببخارها ولا يجسر احد ان يمد يده اليها . ويقصدها سياح الافرنج كما يقصدون حمة عفرة من بحيرة لوط حتى اذا بلغوا شاطئها يركبون على الدواب ثلاث ساعات

وتقل الحراج في هذا اللواء واهمها ما كان بالقرب من بلدة الصلت وفي ارض بني حميدة وهي تبعد عن قصبة الكرك خمس ساعات ويمتد هذا الحرج من الزرقاء قرب معين الى وادي بني حماد وطوله نحو عشر ساعات وفي قضاء الطفيلة حراج واسعة يمشي الانسان بظل لظاها وسنديانها طويلاً ولا سيما في جنوبه قرب قرية ضانا

واكثر الاشجار المثمرة في اللواء التين والعنب والزيتون واكثره في الصلت والطفيلة والكرك والعراق وخزيرة . واهم الحبوب التي يستنبطونها الحنطة والشعير والذرة والعدس والحمص يصدرونها الى فلسطين او الى دمشق وتباع بعشرات الالوف من الليرات وقبل ان تخترق السكة الحجازية هذا اللواء كانت صادرات بلاد الكرك تباع في فلسطين او تبقى في ارضها لبعده المسافة بينها وبين دمشق واقربها لا بقل عن خمسة ايام على الجبال

ومعظم سكان هذا اللواء بادية رحالة ولا تجد ساكنين في البيوت الا في الكرك والصلت والشوبك ومعان والطفيلة وريمة وصتفة وبصيرة وضانا وخزيرة والعراق وكثيرة ومآدبا وام الرمان وعمان والفحيص ووادي السير وناعور وعين صوبلج وحصيفة وياجوز وعيون الحمر وبادودة ولبن وام العمدة وزيزاء . ويخمن الناس نفوس الاهالي بمئة وخمسين الفا نحو خمسهم حضر والباقي بادية ينزلون في بيوت شعر عشائر وقبائل وانغاذ اولكل عشيرة موقع خربة يتخذون من الابار انابيب يخرنون فيها حبو بهم وهم ينتجعون الكلا . وفي قضاء اللواء اي الكرك ثلاثون الف ساكن منهم اربعمائة بيت مسيحيون والباقي مسلمون وفي قصبة الصلت عشرة آلاف منهم الفان من المسيحيين وليس بين العرب الرحالة اناس من المسيحيين واهل مآدبا كلهم مسيحيون .

قال القرطبي في (معان) انها مدينة صغيرة على قارعة طريق الركب الشامي وهي على عشر مراحل من دمشق كان غالب اهلها نصارى . والآن ليس فيها احد منهم ولقد نظمت الحكومة ادارة هذه البلاد سنة ١٣١٠ على الحساب الهجري وكانت

حكومتها من قبل بيد المشايخ والزعماء فجعلت الكرك مركز اللواء وسمت سائر اللواء باسمه وقسمته الى اربعة افضية وهي قضاء المركز وقضاء الصلت وقضاء الطفيلة وقضاء معان والى سبع نواح وهي عمان وديبان ومادبا وزيزاه (جيزة) وتبوك وخنزيرة والشوبك .

وديبان هي شمالي ضفة ارنون (الموجب) على نجرة اميلا من مصبه في بحيرة لوط و ٦٠ اميلا شمالي الكرك وهي المعروفة في الكتب المقدسة باسم ديبون اوديمون وكانت احدى منازل بني اسرائيل^(١) واشتهرت ديبان بالحجر الموائى الذي وجد فيها سنة ١٨٦٨ وهو حجر اسود طوله اكثر من ثلاثة اقدام وعرضه نحو قدمين وسمكه نحو قدم وفيه ٣٤ سطراً من الكتابة الفينيقية العبرانية قرئت كلها وهي من ميشع بن خموسا ملك موآب ملخصها انه بنى هذا المقدس لكموش لانه خلصه من كل مشد وجعله ينظر بازدراء الى اعدائه كلهم قال قد ضايقت عمري ملك اسرائيل موآب اياماً عديدة . ملك ارض ميدبا وسكن هناك هو وابنه ٤٠ سنة اهلكه كموش على عهدي حينئذ بليت بعل معون ورمعت قريتايم . بنى ملك اسرائيل عطاروت فهاجمت المدينة واشتدتها وقتلت كل سكانها قال لي كموش اذهب خذ نبأ من اسرائيل فذهبت وحاربتها من الفجر الى نصف النهار فاخذتها وقتلت سبعة آلاف رجل وجرت آية يهوه على الارض امام كموش واقام ملك اسرائيل مدة حربه معي في ياهص فطرده كموش من امامي . انا هو الذي بنى عرو وغير (عراعر) وعمل طريق ارنون انا هو الذي بنى بيت باموت التي اُخربت انا هو الذي بنى نبوسور وديون وبيت دبتايم وبيت بعل معون وقال لي كموش انزل وحارب حوروناي وخذها له .

اما مدينة ميدبا ويقال لها الآن مادبا فقد تعاقب عليها بنو اسرائيل وموآب وعمون مراراً وهي على مسافة ٦ اميال من حشوبت بين الشرق والجنوب الشرقي و ١٤ ميلا شرقي بحر لوط وكانت في القرون الاولى مركزاً مهماً للدين المسيحي ومن آثارها الآن كنيسة قديمة قيل هي من القرن الخامس وقد وجدت بها سنة ١٨٩٧ خارطة الارض المقدسة مرسومة بالفيلسفا رسماً متقناً يظهر فيه نهر الأردن وكثير من المدن الرئيسة وكانت مادبا في الاصل مدينة ويؤخذ من الكتابة التي أثرت عن الملك ميزا من القرن الحادي عشر ق م انها أُعيدت الى الموائيين لتصير بعد ذلك تحت تحكم النبطيين اي

العرب وكانت على عهد المكابيين قلعة مهمة استولى عليها هيركان واصبحت على عهد الرومان جزءاً من العربية الصخرية . والخرابة لم تزل في كنيسة الروم هناك وعثمان كما قال القرماني . مدينة قديمة خربت قبل الاسلام ولها ذكر في تاريخ الامريثيين وهي رسم كبير ويمر بجانبها نهر الزرقاء الذي على طريق الحاج الشامي وهي من اعمال البلقاء وهي من بناء لوط

واخصب ارض في هذا اللواء ارض البلقاء وهي واقعة بين الأردن والبرية ووادي الموجب والزرقاء وتمتد من الصلت الى مادبا على مسيرة تسع ساعات وهي تزرع في الجملة قال القرماني : البلقاء كورة بين الشام ووادي القري بها قرية الجبارين ومدينة الشراة وبها الرقيم المذكور في القرآن فيما زعم بعضهم وفيها مدن عظيمة وقرى كثيرة الا انها دثرت وخربت فليس بها ديار ولا تلح نار . والقرماني كتب في القرن الحادي عشر وارض الصلت وهي عبارة عن مركزه وناحيته عمان ومادبا هي كما قال القرماني بلدة من اعمال الأردن بها قلعة يسكنها من يحفظها من قبل ملوك العثمانية وينبع من تحت قلعتها عيون كثيرة وتدخل البلد وبها بساتين كثيرة يجلب منها حب الرمان الى البلاد . ومن اراضي اللواء البائرة الجيدة التربة الشاغرة ارض الشراة المشهورة قديماً وهي تمتد من حصن الشوبك الى وادي موسى وفيها كلها مياه غزيرة وهي ذات تربة حسنة وكلها خراب اليوم . والشوبك على ١٩ ساعة عن الكرك كما ان وادي موسى على ٢٥ ساعة عن الكرك .

ولهذه البلاد تاريخ مجيد قبل الاسلام وبعده ويكفي ان من اعمالها وادي موسى — على ٦٤ ميلاً من جنوبي الكرك و ٥٤ ميلاً عن الجنوب الشرقي من بحيرة لوط — المعروف عند الافرنج بيترا اي العربية الصخرية او سلع ومن اعمالها بلاد مآب (موآب) المشهورة في تاريخ النصرانية والظاهران سلع هي غير بيترا وليست مرادفة لها ولا يعرف اليوم اسم بيترا الاصيل ولا تاريخها كما يتبين ويظهر من النواويس القديمة فيها ان تاريخها يرد الى القرن السادس ق م ولم يجر ذكر للبطييين اي العرب الذين استولوا على البلاد بعد الادوميين الا في سنة ٣١٢ ق م اسبى ايام ارسل الملك انتيغونس قائده اتني ثم جاء القائد ديمتريوس ليستولي على بيترا عاصمة البلاد فاخفق القائدان في فتحها وكانت المدينة في الغالب صغيرة وهي حيث وجدت النواويس القديمة ومعظمها على اكمة هناك لا تمتد الى الوادي . حازت هذه المدينة مكانة كبرى لخصائصها ومناعتها امام غارات

سكان البادية فكانت مخزن القوافل النبطية لوقوعها على طرق البحر الاحمر اي القلزم ومصر وغزة ودمشق وتدمر .

واول امير نبطي ذكره التاريخ اسمه ارتياس الاول . وامتد سلطان النبط على عهد المكابيين الاولين الى شرقي الأردن ولما ضعفت دولة البطالسة والسلفيين عاد النبط فقوي سلطانهم بسرعة في القرن الثاني قبل الميلاد . وكانت حدود هذه المملكة على عهد ارتياس الثالث نحو سنة ٨٥ تمتد الى دمشق ولقب ملكها اذ ذاك « نجب اليونان » ويستدل على ان المدينة اليونانية كانت قد استحوكت او اصرها في ارض النبط من المصانع والنواويس التي عثر عليها وهي تنم باجلى بيان عن مدينة يونان ^(١) وفي ايام هذا الملك حدث المصاف الاول بينه وبين الرومان فاضطر ارتياس ان يؤدي الجزية اليهم . واضطر النبطيون على عهد الامبراطور بومبي واخلافه ان يقدموا منهم الحين بعد الآخر جنوداً مساعدين للرومانيين ولكن ظلت مملكتهم حرة قوية وانضمت على عهد ارتياس الرابع الى مملكة دمشق . وفي سنة ١٠٦ للميلاد جعلت بترا واعمالها كلها اسيء العربية الصحربة ولاية رومانية وقد انشأ الامبراطور ثراجان طريقاً عظيماً وصل فيه بين سورية والبحر الاحمر . وبعد ذلك انقسمت هذه الولاية . وفي نحو سنة ٣٥٨ أصبحت بترا ولاية مستقلة برأسها تحت اسم مملكة فلسطين اوفلسطين المسالمة . وان المصانع والعاديات الرومانية التي لم تبوح محفوظة الى اليوم لتدل بان بترا كانت على عهد الحكم الروماني قد بلغت شوطاً عالياً من العظمة والارتقاء ولم تبدأ بالسقوط عن مكانتها الا في نحو منتصف القرن الثالث للمسيح لارتقاء مملكة فارس ومملكة تدمر اللتين نازعتاهما في التجارة بل لان الفرس ونقوا الى تحويل التجارة عن مصارفها القديمة الى اصقاع الفرات والغالب الفارسي .

ولما فتح العرب هذه البلاد كان قدمي اسم بترا او كاد . وزعم الصليبيون لما جاؤا سورية فاتحين ان جبل هارون على مقربة من بترا هو جبل طور سيناء فانشأوا قصراً فخماً في ذروته المقدسة ومنذ ذاك العهد سقطت المدينة في تيه العدم الى ان كان القرن التاسع عشر وقد اكتشف سياح الافرنج ما فيها من العاديات وفيها ٧٥٠ ناووساً مهماً

(١) دليل بيدكر لفلسطين وسورية ١٩٠٦

وهي اهم تلك المصانع ومن العاديات ما التي تعد من اغرب ماصنع^(١) خزانة فرعون وهي هيكل علوه ٨٥ قدماً واسفله دار مربعة قطرها ٣٦ قدماً وعلوها ٢٥ وقال مؤرخو الفرنجة ان معنى سلع في اللغة العبرانية صخر فعدا اليونان والرومان هذه البلاد بتراي صخرأ ودعاها العرب الحجر وقالوا انها مدينة ثمود وانت الفرجة الصخرية الواقعة فيها المدينة هي صدع الصخرة الذي خرجت منه نافذة صالح والحقيقة ان سلع يفتح السنين وكسرها والجمع الساويع اسم عربي ومعناه الشقوق بين الجبال قال ابو زياد الاسلح طروق في الجبال يسمى الواحد منها سلماً وهو ان يصعد الانسان في الشعب وهو بين الجبلين يبلغ اعلى الوادي ثم يمضي فيسند في الجبل حتى يطلع فيشرف على واد آخر يفصل بينهما هذا المسند الذي سند فيه ثم ينحدر حينئذ في الوادي الآخر حتى يخرج من الجبل مخدراً في فضاء الارض فذاك الرأس الذي اشرف من الوادين السلع ولا يعلوه الا راجل . قال ياقوت: وسمع حصن بوادي موسى بقرب بيت المقدس وبهذا لا يصح ان يطلق سلع على وادي موسى باجمعه كما نوه بعضهم . والحجر كما قال ياقوت . اسم ديار ثمود بوادي القرى بين المدينة والشام قال الاصطخري: الحجر قرية صغيرة قليلة السكان وهو من وادي القرى على يوم بين جبال وبها كانت منازل ثمود . قال الله تعالى (وتحتون من الجبال بيوتا فارحين) قال ورأيتها بيوتا مثل بيوتنا في اضعاف جبال وتسمى تلك الجبال الاثالث وهي جبال اذا رآها الراي من بعد ظنها متصلة فاذا توسطها رأى كل قطعة منها منفردة بنفسها يطوف بكل قطعة منها الطائف وحواليها الرمل لا يكاد يرتقى كل قطعة منها قائمة بنفسها لا يصعدا احد الا بمشقة شديدة وبها بشر ثمود التي قال الله فيها وفي النافذة « لها شرب ولكم شرب يوم معلوم » قال جميل :

اقول لداعي الحب والحجر بيننا ووادي القرى لييك لما دعانيا

فما احدث النأي المفرق بيننا سلوا ولا طول اجتماع ثقالنا

اما بلاد مواب او ماب فهي جزء من العربية السعيدة او الصخرية بين بحيرة لوط فيما وراء عبر الأردن والبادية على ضفتي نهر ارنون وكانت عاصمة الموآبيين قلعة وباط مواب . والموايون هم ابناء لوط لا يعلم من تاريخهم الا انهم كانوا اولي بأس شديد يخاف اليهود عاديتهم لغزوم ايام الحين بعد الآخر واستولى الموآبيون على الامم ايبيليين

(١) مرشد الطلاب الى جغرافية الكتاب للقس اسعد منصور

ثلاثي عشرة سنة (١٣٣٢ - ١٣١٤) عَلَى عهد حكومة القضاة وقد غلب شاول (جالوت) الموابلين وخضعوا لسلطان داود مؤقتاً ثم استعبدهم الفرس فالمصريون فالسوريون فالاسكندر فالرومانيون وعلى عهد العرب امتزجوا بهم وفتوا فيهم كما فئت شعوب كثيرة في الفاتحين مع الزمن وآثروا الانضمام اليهم بسائق الدين والمصلحة الدنيوية . اما مدينة الكرك فكانت هي عاصمة الموابلين على ما يقول بعض الجغرافيين وكان اسمها كرك مواب .

وكان ^(١) مقام الموابيين جنوبي ارنون وامتدوا جنوباً الى ادوم وهم من نسل لوط اتحدوا عَلَى اخوتهم بني عمون وطردوا الرفائيين وسكنوا ما كانهم حاربهم شاول وانحصر بهم بحسب رواية التوراة وعند ملك مواب اودع داود ولديه من وجه شاول وقيل ان ملك مواب قتلها فقتل داود منهم ثلاثين الفا ووضع الباقين تحت الجزية وقد ساعدوا بختنصر في حصار اورشليم واسترجعوا بعد السبي املاكهم القديمة .

وعند ياقوت بلاد ماب مدينة واحدة فقال وهي على طرف الشام من نواحي البلقاء قال احمد بن محمد بن جابر توجه ابو عبيدة بن الجراح في خلافة ابي بكر في سنة ١٣ بعد فتح بصرى بالشام الى ماب من ارض البلقاء وبها جمع العدد فالتجها عَلَى مثل صلح بصرى وقيل ان فتح ماب قبل فتح بصرى وينسب اليها الخمر قال حاتم طي :
سقى الله رب الناس سحاً وديمة جنوب الشراة من ماب الى زغر
بلاد امريء لا يعرف الدم يته له المشرب الصافي ولا يعرف الكدر
وقال عبد الله بن رواحة الانصاري :

فلا وابي ماب لتأثنتها وان كانت بها عرب وروم

ولم يقل ياقوت ان الكرك عاصمة بلاد ماب بل قال انها قلعة حصينة جداً في طرف الشام من نواحي البلقاء في جبالها بين ابلة وبحر القلزم واليت المقدس وهي عَلَى سن جبل عال تحيط بها اودية الا من جهة الريض

وسيف المرأة الوضية والى جنوبي نهر الزرقاء الى نهر الموجب البلقاء وشمالها جبل الصلت وليس فيهما موضع مسكون الا قرية الصلت ومن مواضعها القديمة جلعاد وعمون وهي الآن عمان وحشون وهي الآن حسيان والعال وثبا وماعين وعراعر وديبان وفي جنوب هذه المقاطعة كانت قديماً ارض بني عمون والى جنوبي النهر الموجب وهو نهر

ارنون ايضا والى الاحساء ارض الكرك وهي ارض موآب او ارض قوم لوط ومن قراها الكرك وهي كبر موآب وربة هي رابة موآب وزعراء ويقال انها صاغر التي هرب اليها لوط لما نجا من سادوم

وقال ياقوت ان البلقاء كورة من اعمال دمشق بين الشام ووادي القرى قصبتها عمان وفيها قرى كثيرة ومزارع واسعة وبحودة حنطتها بضرب المثل ومن البلقاء قرية الجبار بن التي ارادها الله تعالى بقوله « ان فيها قوما يجاربون » والبلقاء مدينة الشراة شرارة الشام وهي ارض معروفة ونسب اليها قوم من الرواة والنسبة اليها بلقاوي . وقال ان الشراة صقع بالشام بين دمشق ومدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ومن بعض نواحيه القرية المعروفة بالحيمة التي كان يسكنها ولد علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب في ايام بني مروان ونسب اليها بعض الرواة والنسبة اليها شروني .

وذكر ياقوت ايضا ان عمان بلد في طرف الشام وكانت قصبة ارض البلقاء وروى عن ابي عبد الله محمد بن احمد البشاري عمان على سيف البادية ذات قرى ومزارع ورستانها البلقاء وهي معدن الحبوب والانعام بها عدة انهار وارحية يديرها الماء ولها جامع ظريف في طرف السوق مستف الصحن شبه مكة وقصر جالوت على جبل يطل عليها وبها قبر اورياء النبي عليه السلام وعليه مسجد وملعب سليمان بن داود عليه السلام وهي رخصة الاسعار كثيرة الفواكه غير ان اهلها جهال والطريق اليها صعبة قال الاسود بن محمد الانصاري

اقول عمان وهل طربي به
اصاح الم يحزنك ربح مريضة
وان غريب الدار مما يشوقه
وكيف اشتياق المرء يكي صباية
وقد كنت اخشى والنوى مطمئنة
اريد لانسى ذكرها فيثوطني
وقال الخطيم العكلي الحسن يذكر عمان (يفتح العين)
اعوذ بربي ان ارى الشام بعدها
فذاك الذي استكرت يام مالك
وان الماضي العزم لو تعلمينه

الى اهل سلع ان تشوقت ناعم
وبرق تلالا بالمقيمين لاعم
نسيم الرياح والبرق اللوامع
الى من نأى عن داره وهو طامع
بنا وبكم من علم بالله صانع
رفاق الى ارض الحجاز رواجع
وعمان ماغنى الحمام وغردا
فاصبحت منه شاحب اللوى اسودا
وركب احوال يخاف بها الردى

ونسب اليها بعض الرواة والنسبة عمالي .

هذا ما قاله صاحب معجم البلدان وفي كلامه على بلاد ماب والبلقاء واسم المدائن كانت عاصمة تلك النكورة كلام لا يمكن للمرء ان يحزم بان البلدة القلاية كانت قاعدة البلاد والغالب ان الحكومة في الاسلام كانت تنقل في هذه المدن فتارة بعمان واخرى في الكرك والمعلوم من النصوص الآتية الذكر ان تلك البلاد كانت قبيل الاسلام وبمعه يترون عامرة بالسكان وفيها قرى ومزارع كثيرة

وتاريخ هذه البلاد مبعثر جداً قبل الاسلام وبمعه وليس لدينا من النصوص التي يستأنس بها الامراء باقوت في مجعه من اسماء قرى كانت في وادي موسى ومواب والبلقاء قال : (موقعة) اقرب من قرى البلقاء في حدود الشام وقيل موقعة من مشارف الشام وبها كانت تطبع السيوف واليها تسب المشرفة من السيوف قال ابن السكيت سفي تفسير قول كثير

اذا الناس ساموكم من الامر خلة لها خلة فيها السهام المثل

ان الله للشم الانوف كأنهم صوامر يحلوا بموتة حبل

قال المهلب ماب واذرح مدينتنا الشراة على التي عشر ميلا من اذرح ضبعة تعرف بموتة بها قبر جعفر بن ابي طالب بعث النبي صلى الله عليه وسلم اليها جيشا في سنة ثمان وامر عليهم زيد بن حارثة مولاه وقال ان اصاب زيد جعفر بن ابي طالب الامير وان اصاب جعفر فبئس الله بن رواحة فساروا حتى اذا كانوا يتخوم البلقاء لنتيهم جموع هرب من الروم والعرب بقرية من قرى البلقاء يقال لها مشارف ثم دنا العدو وانحاز المسلمون الى قرية يقال لها موقعة فالتى الناس عندها فلقيتهم الروم في جمع عظيم فقاتل زيد حتى قتل فاخذ الراية جعفر فقاتل حتى قتل فاخذ الراية عبد الله بن رواحة فكانت تلك حاله فاجتمع المسلمون الى خالد بن الوليد فانحاز بهم حتى قدم المدينة فجعل الصبيان يحذون عليهم التراب ويقولون يا فرار فررت في سبيل الله فقاتل النبي صلى الله عليه وسلم ليسوا بالفرار لكنهم انكرار ان شاء الله وقال حسان بن ثابت :

فلا يبعدن الله قتلى تتابعوا بموتة منهم ذوالجناحين جعفر

وزيد وعبد الله هم خير عصبة تواصوا واسباب المية تنظر

وقال : (الموجب) بلد بالشام بين القدس والبلقاء

وقال في (ابي) « بالضم ثم السكون ونفتح النون والقصر يوزن حبل » موضع بالشام

من جهة البلقاء جاء ذكره في قول النبي صلى الله عليه وسلم لاسامة بن زيد حيث امره بالمسير الى الشام وشهر الغارة على ابني وفي كتاب نصر ابني قرية بموتنة

وقال: (اذرح) اسم بلد في اطراف الشام من اعمال الشراة ثم من نواحي البلقاء وعمان مجاورة لارض الحجاز . وبين اذرح والجرباء ثلاثة ايام وقيل ميل واحد (والثاني اصح) واقل لان الواقف في هذه ينظر هذه (والجرباء) موضع من اعمال معان باللقاء من ارض الشام قرب جبل الشراة من ناحية الحجاز وهي قرية من اذرح وبينهما كان امر الحكمين بين عمرو بن العاص وابي موسى الاشعري

وقال: (زيزاء) من قرى البلقاء كبيرة يطوئها الحاج ويقام بها لم سوق وفيها بركة عظيمة واصله في اللغة المكان المرتفع ولذلك قال ذو الرمة

تحدّر عن زيزائه القف وارتنى
عن الرمل وانتادت اليه الموارد
وقال مليح

تذكرت ليلي يوم اصبحت قافلا يزواء والذكرى تشوق وتشغف
غداة ترد الدمع عين مريضة بليلى وتارات تفيض وتذرن
ومن دون ذكرها التي مطرت لنا بشرقى عمان الشرى والمعرف
واعملت من طود الحجاز نجوده الى الغور ما اجتاز الفقير والفلج

وقال: (السواد) نواحي قرب البلقاء سميت بذلك لسواد حجارتها فيما احسب
وقال: (شثار) نقب شثار بكسر الشين نقب في جبل من جبال الشراة بين ارض البلقاء والمدينة على شرقي طريق الحاج يفضي الى ارض واسعة معشبة يشرف عليها جبال فاران وهي في قبلي الكرك .

وقال: (حرفة) قرية من نواحي مآب قرب البلقاء يقال بها قبر يوشع بن نون
وقال: (الصمان) من نواحي الشام بظاهر البلقاء قال حسان بن ثابت:

لمن الدار افقرت بمعان بين شاطي اليرموك فالصمان
فالقريات من بلاس فدا ربا فسكاة فالقصور الدواني

وقال: (لعلال) جبل بالشام مشرف على البثينة بين الغور وجبال الشراة .

وقال: (طفيل) تصغير طفل وادي طفيل بين تهامة واليمن عن نصر وبوادي موسى قرب البيت المقدس قلعة يقال لها طفيل عرندل قرية من ارض الشراة من الشام فتحت في ايام عمر بن الخطاب بعد اليرموك .

وقال : (جادية) قرية من عمل البلقاء من ارض الشام عن ابي سعيد الضرير
واليها ينسب الجادي وهو الزعفران قال : ويشرق جادي بهن مديف . اي مدوف .
وقال : (جبال) من قرى وادي موسى من جبال الشراة قرب الكرك بالشام
منها يوسف بن ابراهيم بن مرزوق بن حمدان ابو يعقوب الصبيحي الحبالي والحافظ
ابو القاسم .

وقال : (الرتبة) بلفظ واحدة الرباب عين الرتبة قرية في طرف الغور بين ارض
الأردن والבלقاء .

وقال : (زغر) قرية بمشارف الشام واياها عني ابو دؤاد الياضي حيث قال :

ككتابة الزغري زيدا منها من الذهب الدلامص

قال وقيل زغر اسم بنت لوط عليه السلام نزلت بهذه القرية فسميت باسمها وقال
حاتم الطائي

سقى الله رب الناس محكا وديمة جنوب الشراة من مآب الى زغر

بلاد امري فلا يعرف الدم بيبته له المشرب الصافي ولا يطعم الكدر

وقال : (المشارف) جمع مشرف قرى قرب حوران منها بصرى من الشام ثم من
اسمال دمشق اليها تنسب السيوف المشرفية رد الى واحد ثم نسب اليه . وفي مغازي
ابن اسحاق في حديث مودة ثم مضى الناس حتى اذا كانوا بتخوم البلقاء لقيتهم جموع
عراق من الروم والعرب بقرية من قرى البلقاء يقال لها مشارف .

وقال : (معان) بالفتح وآخره نون والمحدثون يقولون بالضم واياه عني اهل اللغة منهم
الحسن بن علي بن عيسى ابو عبيد المعني الازدي المعاني من اهل معان البلقاء والمعان
المنزل يقال الكوفة معاني اي منزلي قال الازهري : وسمي معان بمفعول وهي مدينة في طرف
بادية الشام تلقاه الحجاز من نواحي البلقاء وكان النبي صلى الله عليه وسلم بعث جيشا
الى مودة فيه زيد بن حارثة وجعفر بن ابي طالب وعبدالله بن رواحة فساروا حتى بلغوا
معان فاقاموا بها وارادوا ان يكتبوا الى النبي صلى الله عليه وسلم عن تجمع من الجيوش
وقيل قد اجتمع من الروم والعرب نحو مائتي الف فنهاهم عبدالله بن رواحة وقال انما هي
الشهادة او الظعن ثم قال

جلبتنا الخيل من آجاء وفرع نفر من الحشيش لها العكوم

حذوناهم من الصوان سبتا ازل كانت صفحته آدم

اقسامت ليلتين من معان
فرحنا والجياذ مسومات
فلا وابي مآب لانيها
فمبأنا اعنتها فجاءت
بذي لب كأن البيض فيها
اذا برزت قوائسها النجوم

وروي ياقوت عن ابي محمد الاعرابي في قول الراجز

يا عمرو قارب بينها تقرب
وارفع لها صوت قوي صلب
واعص عليها بالنقطيع تنضب
الا ترى ما حل دون المقرب
من نفع فلا فدياب المعب

قال — فلا — من دون الشام والمعب واد من مآب بالشام ومآب كورة من كور الشام ودياب ثانيا يأخذها الطريق

وقال: (تنهج) اسم قرية بها حصن من مشارف البلقاء من ارض دمشق سكنها شاعر يقال له خالد بن عباد ويعرف بابن ابي سفيان ذكره الحافظ ابو القاسم
وقال: (التيه) الموضع الذي ضل فيه موسى بن عمران عليه السلام وقومه وهي ارض بين ايلة ومصر وبحر القازم وجبال الشراة من ارض الشام يقال انها اربعون فرسخا في مثلها وقيل اثنا عشر فرسخا في ثمانية فراعص واية اراد المتنبي بقوله
ضربت بها التيه ضرب القما راما لهذا واما لهذا

وقال: (الحميمة) بلد من ارض الشراة من اعمال عمان في اطراف الشام كان منزل بني العباس

وقال: (نقش) بكسر اوله وثانيه ونونه مشددة من قرى البلقاء من ارض الشام كانت لابن سفيان بن حرب ايام كان يهجر الى الشام ثم كانت لولده بعده

وقال: (النقيب) بالضم وهو تصغير نقب وهو معروف موضع في بلادهم بالشام بين تبوك ومعان على طريق حاج الشام

وقال: (وسادة) موضع في طريق المدينة من الشام في آخر جبال حوران ما بين يرفع وقرافر

وقال: (الوعيرة) كأنه تصغير الوعة حصن من جبال الشراة قرب وادي موسى

هذا ما تيسر تلقفه من معجم البلدان وليس بين اسماء هذه البلاد شيء يعرف الآن

فما نحب الا قرية او قربان مثل عمان ومعان وماعدا ذلك فقد دثر واصبح خراباً ياباً تدل آثاره عليه وقد بدأ الخراب الحقيقي في هذه البلاد على عهد الصليبيين وكانت اشهر حصونها الكرك والشوبك فقد اخذ بغوذين^(١) من ملوك الصليبيين الشوبك وعمره في سنة تسع وخمسة و كان قد خرب من نقاد السنين والشوبك هي في رواية مسربة وقال القرطبي^(٢) : شوبك بلدة صغيرة كثيرة البساتين من اعمال الشام غالب اهلها نصارى وهي شرقي الغور على طرف الشام من جهة الحجاز وينبع من تحت قلعتها عينان وقلعتها على تل مرتفع مطل على الغور .

واستولى الصليبيون على الكرك وحصنها الملك فولوك تحميها شديداً حتى كانت صاحبها البرنس ارثلط كما يقول مؤرخو العرب او ارنولد كما يقول الافرنج من اشد الصليبيين عدواة المسلمين كان غزا الحرمين فنذر صلاح الدين يوسف بن ايوب ان هو ظفر به ان يقتله بيده وكذلك كان فسقط بيده اسيراً يوم وقعة حطين بالقرب من طبرية وبعث صلاح الدين فاستولى على الكرك

وفي الانس الجليل ان السلطان صلاح الدين لما كان في بلاد انطاكية لم يزل الحصار على الكرك وكان اخوه الملك العادل عين معه على حفظ البلاد وكانت صهره سعد الدين كمشه بالكرك موكلاً بحضاره فراسل الافرنج الملك العادل في الامان فاستمع ثم صالحهم وسلموا الحصن . ولم يكن للكرك شأن كبير قبل الحروب الصليبية ثم غدت عاصمة مملكة يعرف صاحبها بملك الكرك او صاحب الكرك على عهد صلاح الدين ومن بعده الى عهد الجراكسة والغالب ان موقعها الحربي المهم وتوسطها تقريباً بين مصر ودمشق وكانت اذ ذاك حكومتها واحدة هيأ لها ذلك

قال القرطبي : كرك بلدة مشهورة وبها حصن على قمة جبل يقال انه كان دير الروم وجعله المسلمون حصناً فيها قبر جعفر الطيار واصحابه وفيه اسفله وادفيه حمام وبساتين كثيرة وكان من دأب ملوك الترك والجراكسة كلما خلعوا سلطاناً ارسلوه الى الكرك

اما الكرك او قلعتها فهي كانت وما زالت من اعظم حصون سورية ولذلك احتلها الصليبيون وحرس صلاح الدين واسرته ان يسترجعوها منهم لانها مفتاح القطرين

(١) ختلط المثيري (٢) في تاريخه المسمى باخبار الدول وآثر الأول وهو مما كتب

بل القطر المصري والشامي والحجازي ولذلك تجد ذكرها يتردد كثيراً في التاريخ منذ استولى عليها الافرنج الى ان انقرضت دولة الجراكسة في مصر والشام على يد السلطان سليم العثماني سنة ٩٢٢ هـ .

ولطالما كانت الكرك موعداً للقاء وميداناً لاهراق الدماء وتكافح الناس في جوارها على امتلاكها كفاحاً واعي كفاح يبعث فيه الارواح والاشباح بيع السماح وهاك الآن مثالا من صحف التاريخ المنسية تعتبر بها وتزدجر

قال ابو الفدا في حوادث سنة ثمان وستين وخمسة وفيها سار صلاح الدين من مصر الى الكرك وحصرها وكان قد واعد نور الدين ان يجتمعا على الكرك وسار نور الدين من دمشق حتى وصل الى الرقيم وهو بالقرب من الكرك . والرقيم هو كما قال ياقوت ايضاً بقرب البلقاء من اطراف الشام عناء كثير بقوله وكان يزيد بن عبد الملك ينزله وقد ذكرته الشعراء

امير المؤمنين اليك نهوي على البخت الصلادم والعجوم
اذا اتخذت وجوه القوم نصيباً اجيج الواهجات من السموم
فكم غادرن دونك من جهنم ومن نعل مطرحة جذيم
يزرت على ثنائه يزيداً باكتاف الموقر والرقيم
تهب الوفود اذا اتوه بنصر الله والمملك العظيم

والموقر حصن بالبلقاء قال فيه ياقوت انه اسم موضع بنواحي البلقاء من نواحي دمشق وكان يزيد بن عبد الملك ينزله قال جرير :

اشاعت قريش للفرزدق خزبة وتلك الوفود النادبون الموقر
عشبة لاقى القين قين مجاشع هزبراً ابا شبلين في الفيل قسوراً
وقال كثير :

سقى الله حياً بالموقر دارهم الى قسطل البلقاء ذات المحارب
وقد نأى من الموقر جملة من المحدثين والنسبة اليها موقري وصرح الشاعر بان الموقر من ارض الشام فقال :

اذنت علي اليوم اذقلت انني احب من اهل الشام اهل الموقر
بهايل هم عصمة الناس كلهم اذا الناس جالوا جولة التخيير
وقال كثير عزة

اقول اذ الحيان كعب وعامر
جزء الله حيا بالموقر نضرة
بكل حيث الويل زهر غمامه
له دور بالقسطين مواشك

وفي حوادث سنة ثمان وسبعين وخمسمائة ان البرنس صاحب الكرك عمل اسطولا
سيفي بحر ايلة (وهي مدينة على ساحل بحر القلزم او الاحمر مما يلي الشام) وساروا في
البحر فرقتين فرقة اقامت على حصن ايلة يحصرونه وفرقة سارت نحو عيذاب ^(١) يفسدون
في السواحل وبنفون المسلمين في تلك النواحي فانهم لم يعهدوا بهذا البحر فربما قط فعمز
الملك العادل ابو بكر ابن ابوب اسطولا في بحر عيذاب وارسله مع حسام الدين الحاجب
لؤلؤ وهو مشولي الاسطول بديار مصر فوقع بالدين يحاصرون ايلة فقتلهم وامرهم ثم
سار في طلب الفرقة الثانية وكانوا قد عزموا على الدخول الى الحجاز ومكة والمدينة
وسار لؤلؤ ببقواثرهم فبلغ رايغ فادركهم بساحل الحورا ونقائلوا اشد قتال فظفر بهم
وقتل اكثرهم واخذ الباقيين اسرى وارسل بعضهم الى منى ليخروا بها وعاد بالباقيين الى
مصر فقتلوا عن آخرهم

وفي السنة التالية سار السلطان صلاح الدين من دمشق للغزوة وكتب الى مصر
فسارت عساكرها اليه ونازل الكرك وحصره وضيق على من به وملك ربيض ^(٢) الكرك
وبقيت القلعة وليس بينها وبين الربيض غير خندق خشب وقصد السلطان صلاح الدين
طعه فلم يقدر لكثرة المقاومة فجمعت الفرنج فارسها وراجلها فقصده فلم يمكن السلطان
الا الرحيل فرحل عن الكرك وسار اليهم فاقام في اماكن وعرة واقام السلطان قبالتهم
وسار من الفرنج جماعة ودخلوا الكرك فلم يامتناعه عليه فرحل عنه .

وبعد وقعة حطين كان السلطان صلاح الدين لما سار الى البلاد الشمالية قد جعل
على الكرك وغيرها من يحصرها وخلي اخاه الملك العادل في تلك الجهات يباشر ذلك
فارسل اهل الكرك يطلبون الامان فامر الملك العادل المباشرين بحصارها بتسلعها
فتسلعوا الكرك والشوبك وما بتلك الجهات من البلاد .

- (١) عيذاب بالفتح ثم السكون وذل معجمة وآخوه باء موحدة . بليدة على ضفة
بحر القلزم هي مرسي المراكب التي تقدم من عند والي الصعيد « يا قوت »
(٢) الربيض فيما قال بعضهم اساس المدينة والبناء والريض ماحوله من خارج . الاول
مضموم والثاني بالتجريك

قال ياقوت في الثوبك انها لمدينة حصينة في اطراف الشام بين عمان وايلة والقلم قرب الكرك وذكر يحيى بن علي التوخي في تاريخه ان يقدور الذي ملك الفرس سار في سنة ٥٠٩ الى بلاد ريبة من طي وهي باق والشراة والبلقاء والجبال ووادي موسى ونزل على حصن قديم خراب يعرف بالثوبك بقرب وادي موسى فعمره ورتب فيه رجاله وبطل السفر من مصر الى الام بطريق البرية مع العرب بعمارة هذا الحصن . وبعد وفاة صلاح الدين ظلت الكرك والثوبك والبلاد الشرقية بيد الملك العادل سيف الدين ابوبكر ابن ايوب

نقدم ان حصن الثوبك كان من جملة الحصون التي يتنافس فيها الفاتحون في هذه الديار وهو على ١٩ ساعة من الكرك يؤيد ذلك ما رواه ابو الفدا (١) سيفه حوادث سنة ٦٢٥ هـ من ان الملك الكامل صاحب مصر ارسل يطلب من ابن اخيه الملك الناصر داود ابن الملك المعظم صاحب دمشق حصن الثوبك فلم يعطه اياه ولا اجابه اليه ففسار الملك الكامل من مصر الى الشام بقصد استخلاص الثوبك وغيره .

وفي حوادث سنة ٦٢٩ ان الملك الكامل سار من دمشق الى الثوبك واحتفل له الملك الناصر داود بن المعظم عيسى بن الملك العادل ابن بكر ابن ايوب احتفالا عظيما بالضيافات والاقامات والتقام وحصل بينهما الاتحاد التام وكان نزول الملك الكامل بالبحون قرب الكرك وهي منزلة الحجاج . وسيفه سنة ٦٣٣ فموت الملائق بين الملك الناصر داود صاحب الكرك وبين عمه الملك الكامل صاحب مصر ففسار الاول الى بغداد ملتجئا الى الخليفة المستنصر لما حصل عنده من الخوف فاصح الخليفة بينهما واد الناصر الى الكرك وفي سنة ٦٣٥ جرى بين الملك الناصر داود صاحب الكرك وبين الملك الجواد يونس المتولي في دمشق مصاف بين جنين ونابلس انتصر فيه الملك الجواد يونس وانهمز الملك الناصر هزيمة قبيحة ونهب عسكره واثقاله ولثامه هذا وقائع مع أسرته وغيرهم ولكن بني ايوب ومن بعدهم على تنافسهم في الملك كانوا بدأ واحدة على اعدائهم الصليبيين حين الحاجة لان هؤلاء لم تكن انقطعت شأفتهم كلها من بلاد الشام

وفي سنة ٦٤٤ سار الامير نحر الدين يوسف ابن الشيخ من قبل الملك الصالح الى حرب الملك الناصر داود صاحب الكرك فاستولى على جميع بلاد الملك الناصر وولي

(١) اعتمدنا على تاريخه في وصف ما اثناب الكرك بعد حرب الصليب

عليها وسار الى الكرك وحاصرها وخرّب ضياعها وضعف الملك الناصر ضعفاً بالغاً ولم يبق
بيده غير الكرك وحدها .

وفي سنة ٦٤٧ استولى الملك الصالح ايوب صاحب الديار المصرية على الكرك وفي
السنة التالية ملك النلعين الكرك والشوبك الملك المغيث فتح الدين وكان اعتقاله
الملك المعظم نورائشاه في الشوبك فلما قتل هذا بادر النائب عليهما وهو بدر الدين
الصوابي الصالحى قافرج عن الملك المغيث وملكه الحشّين وفي سنة ٦٥٦ انضمت
البحرية الى المغيث صاحب الكرك والتمتع عسكر مصر في غزاة فكانت الكسرة على
المغيث ومن معه فولى منهزماً الى الكرك في اسوار حل ونهبت اثقاله ودلهيزه . وفي
سنة ٦٥٧ حاصر الملك الناصر يوسف صاحب دمشق والملك المنصور صاحب حماة
الملك المغيث صاحب الكرك بسبب حمايته البحرية واقاموا على بركة زيزاء (التي يعرفها
العامّة بجبينة اليوم) ما يزيد على شهرين وفي سنة ٦٦٠ قتل الملك المغيث صاحب الكرك
قتله الملك الظاهر بيبرس صاحب مصر لانه كتب اجوبة على مكاتبات من التتر
الى الملك المغيث في اطراهم في ملك مصر والشام ورتب الظاهر امور الكرك وعاد
الى مصر

وفي سنة ٦٨٠ استقر الصلح بين السلطان الملك المنصور قلاوون وبين الملك خضر
ابن الملك الظاهر بيبرس صاحب الكرك . وفي سنة ٧٠٨ سار الملك الناصر محمد بن
قلاوون من الديار المصرية متوجّها الى الحجاز فسار الى الكرك وكان النائب بها جمال
الدين اقوش الاشرقي فعزل سائطاً واحتفل به وعبر السلطان الى المدينة ثم الى القلعة
ولما عبر السلطان على الجسر الى القلعة والامراء ماشون بين يديه والمالّيك حول فرسه
وخلقه سقط بهم جسر قلعة الكرك وقد حصلت يد فرس السلطان وهو راكبه داخل
عتبة الباب فلما احس الفرس بسقوط الجسر امرع حتى كاد ان يدوس الامراء الماشين
بين يديه وسقط من ممالك السلطان خمسة وثلاثون الى الخندق وسقط غيرهم من اهل
الكرك ولم يهلك من المالك غير شخص واحد لم يكن من الخواص ونزل في الوقت
السلطان عند الباب واحضر الجنويات والحيال ورفق الذين وقعوا عن آخرهم وامر
بداواتهم فصلحوا وعادوا الى ما كانوا عليه وكان ارتفاع الجسر الذي سقطوا منه الى
الخندق يقارب خمسين ذراعاً .

ولما تولى الملك الناصر^(١) احمد بن الملك الناصر بن محمد بن قلاوون في الكرك اقام فيها اياماً في لهو ولعب فأنكروا عليه اموراً لا تليق بالسلطنة فانفق اهل الشام على خلعه وارسلوا الى المصريين في ذلك فاجابوهم وسلطنوا اخاه الصالح اسماعيل ووردت المراسيم الى جميع ولايات الاعمال الشامية بتجريد العشرات وغيرهم الى الكرك وعينوا على معاملتي صيدا وبيروت خمسمائة راجل فذهبوا اليها سنة ٧٤٣ ووجدوا في القلعة ومع السلطان احمد خاقاً كثيراً وقد نصبوا على القلعة في اعلاها خمسة مجانيق ومدافع كثيرة وكان الكركيون يظهرون من باب القلعة ويقاثلون احياناً كثيرة وكان الحصار والزحف مستمراً ونصب المحاصرون على القلعة منجنيقاً يرمي بحجار وزنها خمسة وثلاثون رطلاً .

وكان يحكى عن السلطان احمد انه كان شاباً حسن الشكل عبل البدن وكان يلبس ملبوس العرب ووسع اكمامه على زي الكركيين وكان يظهر لهم انه لبس هذا الزي محبة فيهم

وكان يجلس كل يوم بين شراريف القلعة ويرمي سبعة سهام صيغت نصولها من فضة موشاة بذهب كانت تدل على قوة قوسه وكان اذا اراد ان يرمي السهم رفع يده التي فيها القوس فيسقط كفه من سعة الى كفة حتى يبان شعر ابطه وكان غليظ الذراع ابيض اللون ورأوا له سهماً في حصار الكرك وقد نقش عليه هذان البيتان .

ومن جودنا نرمي العداة باسهم من الذهب الابريز صيغت نصولها
يداوي بها المجرّوح منها جراحه ويشري بها الاكفان منها قتيلاها
وها للامين بن هرون الرشيد وكان لما حضره عبدالله بن طاهر في بغداد
بعساكر اخيه المأمون صنع نصول الفشاب من خالص الذهب ونقش عليها هذين البيتين

ولما دخلت سنة اربع واربعين وسبعمائة ضعفت حال السلطان احمد والكركيين وكان زرعمهم قد رعي رغاء التركان والعربان وكان اكثر دوابهم قد نهبت وانقطع عنهم الجلب وحاطم في ضعف واخذت قلعة الكرك سنة خمس واربعين وسبعمائة واخذ سلطانها وقتل وذلك بعد ان تجمعت عساكر الشام على حصارها زهاء سنتين

وبعد فليس في التاريخ الحديث ولا سيما من بعد دخول الدولة العلية الى هذه

البلاد شبة ينقل ليفيد في حالة بلاد الكرك اللهم ما كان من انتقاض اهالي هذه البلاد على ابراهيم باشا المصري لما فتحها ايام دخوله الى سورية في اوائل القرن الماضي ونظم ادارتها وجعل لها حامية من جنده فلم يرض الاقليل حتى تمرد السكان وقاموا فذبحوا الحامية والموظفين عن بكرة ابيهم حتى انهم قتلوا كتيبة من جنده كانت آية الى مصر فضلاوها في الطريق واهلكوها الا قليلا كما ارتكبوا مثل هذا المنكر هذه المرة ولم يفعلوا

ويؤخذ بالقرينة ان معظم البلاد اصحبت بادية بعد هذه الواقعة لغلبة الجهل واختلال الادارة وظلم العمال وكذلك حال القرى يعرف ذلك كل من طاف في اقصية اللواء الاربعة فانه يشاهد خرباً ومياهاً سائبة فقد كان في قضاء الصلت وارض بني صخر نحو ثلثائة قرية وعدة مدن عامرة وليس فيها اليوم سوى خمس عشرة قرية عامرة بعض الشيء

وبعض الحرب في اللواء بيد العرب المزارعين وبعضها شاغرة وآخر ملك للحكومة . وبدو الكرك كثيرون فنهزم في قضاء الصلت الدجاجة^(١) والابديات وابي نعيم والشوايكة والازايدة والابونندي والعجامة والمطيريون والحرافيش وراسفة والعدوان والنمر والكائد والصالح والعباد والمناسير والفقهاء والزبودوازيادات والجروم والمشاخنة والقاعور والربيع وبنو صخر وهم يقسمون الى الزبن والهيكش والحفيرة والقبعين والغايز ومجموع بيوتهم نحو ٤٥٠٠ بيت واشهرها بنو صخر وهي ٧٠٠ بيت والعدوان وهي ٥٠٠ والعباد ٨٠٠ والارض التي تنزلها هذه القبائل شرقي نهر الشريعة وغربي البادية وشمالا وادي الوالا ووادي التمد وجنوباً ماء الزرقاء والحدود الفاصلة بين عجلون والصلت وسكان القضاء كله نحو اربعين الفا وهو اعمر اقصية الكرك

وفي قضاء الطفيلة نحو عشرين الفا من النفوس وهذه^(٢) اسماء عشائرها : الحميدات وهي اعظمها مؤلفة من خمسمائة بيت وعبيدين تقرب نفوسها من الحميدات والبحارات مثلها ايضاً والكلالدة والوهيبات والهلالات وعشيرة المتاعين وهي رحالة نقضي اكثر ايامها في الجوف بالقرب من نجد وقنزل القضاء بعض اشهر بين محطة الجروف ومدينة الطفيلة وفي هذه المدينة ١٢ الفا من السكان الحضر .

وفي قضاء معان عشائر وانحاذ واحما الحويطات ومنها الدعمانية وابوتاية والمطالقة ومنها

(١) خليل رفعت افندي الحوراني

(٢) الدكتور محمد خيرى القباني

البدول والشوبك والتعيمات والديابات والعامرة والمراعية والدرواشة والعطون والزوايدة والطقاطقة والعمارين والشابدة والسعيدين والراجقة . وفي قضاء معان أيضاً بنزل بنوعطية وهم يتسمون سبعة اقسام منهم المزايدة والخضرة والشوبث والهراسة ومنازلهم من المدورة الى تبوك

اما عشار قضاء الكرك ^(١) فكثيرة وهي اغوات . اللصاية . بنو حميدة . بياضة . جلامدة . حباشنة . خرشة . خنزيرة . دنليات . كفلاوين . ضمور . حجابا . سليط . شمالية . صرايرة . صعوب . طراونة . العمزو . عراق . عكشة . حجازين . غور الصافي . غور المزرة . فقرا . قطاونة . قضاة . كثرربة . معايطه . بحالي . مبيضين . مصاروة . مدانات . بقاعين . نوايسة . نعيمات . هلسة

هذه فرق عشار الكرك واهمها واكثرها عدداً بنو حميدة . سليط . حجابا حباشنة . ضمور . صرايرة . طراونة . كثرربة . معايطه . وتنقسم عشيرة بني حميدة الى ثلاث فرق (حمولات) وهي ابو برزواين طريف وابو ريحة . وتنقسم ابو برزواين الى فرقتين وهما الفواضلة والتوايهة . وكل منهما ينقسم الى اربع جماعات لكل جماعة شيخ . وتنقسم عشيرة ابن طريف الى ست فرق وهي ابن طريف . رواحنة . الحبيصة الضرابية . الشخابية . شقور وحمادين . بصيرة وتنقسم عشيرة ابي ريحة الى اربع فرق وهي الشروانة وحواطة . هواوشة . اللوانسي . قواسمة . وتنقسم عشيرة سليط الى فرقتين بحارات ورجيلات . وتتألف عشيرة الحباشنة من العرود والجمافرة . وتتألف الضمور من محمود وسمجات والطراونة من عيال جبرين وعيال جبران . وجماعة وعيال عودة .

اما كثرربة فهي قرية يسكنها فرقتان وهما القراللة والرماضنة ويتألف القراللة من زغيلات سالم وزغيلات سعيد وسلامات ومهانية ومخائرة . ويتألف الرماضنة من الرواشدة والخثانة وشواورة وكساسبة ومطارنة وجوازنة . وتتألف عشيرة المعايطه من فرقة ساهر ويوسف . ويتألف التعيمات من العبادلة والجعافرة والاحامدة ويتألف الحجابا من محموديين وهدايات وهؤلاء الحجابا لا يزرعون ولا يفلحون بل هم بادية . والعشار التي لها شأن عند الحكومة هي . الحجابي . طراونة . ضمور . معايطه .

سرايرة • مدائن • حلة • اما العثار التي لها نفوذ على العثار لها هي الجالي •
سليط • حجابا • طراوة • بنو حميدة

هذه اسماء العثار وقرىها ومكانتها اما ما كن نزولها فان فرس الي ربيعة • الي
بريز • نضامة • الحيص • الرواحنة من عشيرة بني حميدة وسليط وكعانة والقرى
كلهم ينزلون تحت الظليام في ناحية ديبان من المال • مركز اللواء • وسدود ديبان هذه
من القبيلة نهر الموجب ومن الشمال اللب ومن الغرب بحر لوط ومن الشرق ام الرصاص
في بقعة من الارض سهلية جبلية يبلغ عرشها ربع ساعات واولها سبع ساعات • ولا تجد
شرقي ام الرصاص ارضا تزرع ومركز ناحية ديبان وادي الوالا وهو على احدى عشرة
ساعة عن مركز اللواء •

اليك على الجلة اسماء العثار المزارة وهي معدودة بادية رعاة سيح هذا اللواء
والحكومة تستوفي منها الى اليوم عشرا مقطوعا وسراجا مقطوعا وودبا (تعداد الجبال
وتعداد الغنم) مقطوعا اي انها تفرض على كل حولة او عشيرة قدر ما من المال وتطالب
به من وجدته منهم ليكون بذلك مجال لظلم الضعاف من هذه القبائل يرهقهم مشايخهم
وعمال الحكومة وهو لا يشدون في الاكثر في اعانت من يظفرون به او يجتازون
منزله وقد يأخذوا بحريرة جاره او اخيه فان بعض اولئك البدو قد يهربون في بعض
سني المحل او تفرض آخر فلا يلبث عمال الدولة ان يستولفوا من ابناء تلك القبيلة ما هو في
ذمة الهاربين وكثيرا ما نقاضت الحكومة من واحد ما يمرض على خمسة من عشيرته •
مثال ذلك ان العامرة من الحويطات كانوا اغنياء على عهد تأسيس اللواء اي منذ سبع
عشرة سنة فلم تمض بضعة سنين حتى اصبحوا افقر الفقراء بذلك القاعدة السخيفة سيح
الادارة وتفرقوا تحت كل كوكب ومنهم من انقلب الى حسمه وغرة او دخل في البادية
الى نجد والشرق

نعم ان الحكومة حتى الآن لم تعدل لعمران اللواء عملا من شأنه رفع الحيف
وكشف الظلمات لتعمر البلاد بل على العكس انت ما عذب به عمرائها واهلها سكانها
قيلا من ان ترسل لهم وعائلا يعلمونهم بلغتهم بعثت اليهم في الدور البائد تسعة من الانراك
تحت اسم وعائلا لا يعلمون العربية فاشتغلوا سنين بالتمس وبث الفاسد وبهذا تأصبت
الثقرة في قلوب القوم بدلا من تأليف شاردم وساعد على ذلك في الاكثر الخبط

طبقة أكثر الموظفين الذين يعيشون في أمور الإدارة وبذلك زاد الاهلون مراناً على الاحتمال تخلصاً بزعمهم من فساد الحال وركنوا الى شيوخهم على ظلم فيهم أكثر من حكومتهم التي تريد الخير بهم على الجملة وان كانت لم تهتد الى الطريق حتى الآن في اختيار الجياد من العمال

كان الرجاء معقوداً بتأسيس حكومة الكرك ان تغدو عمالتها كلها بعد هذين العقدين من السنين جنة لما خصتها به الفطرة من المواهب وتقلب تلك الخيام السوداء كما قال احد العارفين دوراً قوراء فاصبحت بسوء الادارة بيوت ارزاء ولا واء .

كاد اولئك البادية يضعون شفتهم بالحكومة يوم تولى امرهم اداري بقيم نصاب العدل ويرفع عن عائقهم عدوان زعمائهم الجاهلين ولكن جرعة الامر على عكس ذلك فاخذ السكان يستضعفون حكومتهم خصوصاً بعد ان قاموا منذ زهاء سنتين وهجموا على دار الحكومة وكان بلغهم انها تريد احصاء نفوسهم والحقيقة انها كانت في صدد انتخاب نائب منهم يمثلهم في مجلس الامة . ولو احسن متصرفهم اذ ذاك التصرف وصححت عنزيمه الحكومة على ازال العقوبة الشديدة بمن شقوا عصا الطاعة لما حدث اليوم ماحدث فخرّب العامر والغامر وتضرر الحاكم والمحكوم عليه .

فان يوماً في فتنه يخرب مالا يعمر في سنتين . وعدل ساعة يحبي الارض اكثر من كل قوة في غير محلها . فوا اسفاه لبلاد مثل هذه تؤوي الملايين من البشر يعيشون من تربتها سعداء وهي اليوم لا ينزلها سوى الوف لا يستفيدون منها ولا يفيدون وها قد زادت اليوم فوق خرابها خراباً . كانت بالامس ممالك ذات منعة وهي الآن بما تحيفها من الدمار عبرة لمن اعتبر فسحان من يشقي ويسعد ويغني ويفقر

